٥ً قوت النفوس في مخاطبة العريس والعروس . وهو كتاب صغير في كيفيّة معاشرة الخلق مع الحقّ استخرجهُ من اللغة الفرنساويّة الى اللغة العربيّة احد الرهبان الحافين المنتمين الى جبل الكرمل في مقدّمة و٢٠ باباً وخاتمة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها نحو مئة سنة

٦ً كتاب نور الاحياء للراهبة فرنسسكا الكرملتسانيّة الاسبانيّة عرّبهُ احد المرسلين الكرملتان . منهُ نسخة في مكتبة المواردة في حلب تحت العدد ٣٧٠ تاريخهُ نحو ١٥٠ سنة

٧ً كتاب منخز الندامة للاب يوحنّا جيزو ماريا الكرملي الحافي . وهو الكتاب الذي استخرجهُ للارمنيّة السيّد البطريرك ابرهام الحلبي سنة ١٧٣٥ (راجع المشرق ٩ : ٦٩٥)

قدس الأقداس وذخائرهُ

للاب لويس شيخو اليسوعي

ان كانت كنيسة القديس بطرس اعظم كنائس العالم واجملها الّا ان كنيسة مار يوحنا اللاتريّة تفوقها في مقامها وشرفها لأنّها هي الكنيسة الكاتدرائيّة وفيها الكرسي الروماني كرسيّ حبر الاحبار . ولكهنتها الاسبقيّة في كلّ الاجتماعات الدينيّة . وهي اول كنيسة شيّدها قسطنطين الكبير بعد تنصّرهِ في مكان قصر فخيم كان لأسرة رومانيّة قديمة اسمها « لاتراني » وفيها كانت تُصان عامتا الرسولين المجيدين بطرس وبولس ومائدة العشاء السرّي . والمذبح الاوّل من خشب الارز الذي قدّس عليهِ بطرس الرسول . وفي هذه الكنيسة ايضاً من التصاوير والنقوش واعمال الفسيفساء واجناس الرخام الثمين وضروب الحليّ العجيبة ما عزّ وجود شبههِ في غيرها . وقد اشتغل في مبانيها وآثارها وزينتها كبار المهندسين والنحّاتين والمصوّرين فاضحت هذه الكنيسة كمعرض لنتائج فكرتهم . وامام الكنيسة في الساحة اللاتريّة اكبر المسلّات المصريّة طولها ٣٢ متراً

وعلى مقربة من كنيسة القديس يوحنّا اللاتريّة ما خلا القصر البابويّ اللاتراني الذي سكنهُ الباباوات اعصاراً طويلة عدّة كنائس او معابد تحدق بها كالاقمار بالشمس

تمتاز بينها كنيسة الدرج المقدس وهو على ما ورد في التقليد درج محكمة بيلاطوس البنطي الذي صعده السيد المسيح بعد جلده وتكليله بالشوك لما اراه الحاكم لليهود قائلاً : « هوذا الرجل » وهذا الدرج لا يصعده الزوار الا جاثين على ركبهم اجلالاً وتعظيماً . وفي اعلاه مصلى واسع في وسطه مذبح كبير غاية في الفخامة والجلال كان الاحبار الرومانيون اختصوه بنفسهم لا يتقدم غيرهم عليه الذبيحة الطاهرة وكان هذا المصلى غنياً بالذخائر المقدسة جمعها فيه الباباوات العظام حتى اصبح مزاراً لكل الامم المسيحية . ولذلك كان يُدعى بقدس الاقداس تشبيهاً له بقدس هيكل اورشليم حيث كان يتجلى الله تعالى بمجالي عزته لشعب اسرائيل

وتاريخ هذا قدس الاقداس يرتقي الى اوائل القرن التاسع فان البابا لاون الثالث الذي توّج كارلس الكبير (شرلمان) سنة ٨٠٠ وتوفي سنة ٨١٧ هو اوّل من جمع هذه الذخائر الثمينة التي كانت من قبله متفرّقة في البلاط الروماني فاصطنع لها صندوقاً من خشب الارز على هيئة تابوت العهد الاورشليمي اودعه تلك البقايا الخطيرة التي كان معظمها منوطاً بشخص السيد المسيح لذكر السجود وجعل الصندوق في صوان حرز لئلا تمسّه يدٌ اثيمة . وكان البابا نفسه اودع هامتي القديسين الرسولين بطرس وبولس وهامة القديسة اغنس الشهيدة الرومانيّة في صوان بديع الحسن وضعه على هيكل في الجانب الايمن من المذبح الكبير كما انه جعل في الجانب الايسر ذخائر القديس لورنسيوس الشماس الروماني والشهيد العظيم

وقد بقيت هذه الذخائر الجليلة مكرّمةً الى القرن الثالث عشر حيث احتاج المعبد الى ترميم فرُمّم على عهد الاحبار الاعظمين اينوشنيوس الثالث وهونوريوس الثالث وغريغوريوس الثالث . وقد وجد هؤلاء الباباوات انّ الرطوبة اثّرت في الذخائر التي كانت على طرفي المذبح الكبير فنُقلت وجُعلت في صندوق الارز الذي اصطنعه لاون الثالث انما نُقلت فقط هامتا الرسولين بطرس وبولس الى كنيسة لاتران الملكية وهناك يكرمهما العالم الكاثوليكي حتى اليوم

اما قدس الاقداس فلم يزل موضوع الاعظام والتجلة قروناً متوالية وكان يزيد الناس اكراماً له ما يرون حوله من الحواجز الحديديّة والاقفال المتينة والمصاريع المختومة بختوم الاحبار الرومانيين التي تدلُّ على انّ ثمّ كنوزاً لا تقدّر اثمانها . وكان المذبح نفسه

محدقاً بعوارض من الحديد المشبّكة لا يُدخل اليه الّا من باب واحد لا يفتح الّا نادراً فكان الزوّار يكتفون بان يجدوا خارجاً وينظروا من بعيد الى صوان الذخائر المقفل مع نقوشه العجيبة وممّا يغطيه من الخمل المزركش بالذهب والجواهر النفيسة وفوق الصوان قد كتبت هذه الاية ليس على الارض مكان اعظم قداسةً من هذا NON « EST IN TOTO SANCTIOR ORBE LOCUS ». وعلى باقي الجدار اعمال رائعة من الفسيفساء ذات الالوان الناصعة الجميلة في وسطها صورة بيّنة مزينة بالفضة الخالصة للسيد المسيح وهي تُكرَم هناك منذ نيف والف سنة وامامها توقد المصابيح والاسرجة العديدة. ويزعم الزاعمون انّها لم تصوَّر بيد بشر (Achéropite) وانّما ظهرت على الجدار على طريقة عجيبة

هذا هو قدس الاقداس الذي لم يفتح منذ القرن الثالث عشر الّا مرّةً واحدةً على عهد لاون العاشر في اوائل القرن السادس عشر الذي تحقّق بنفسه وجود الذخائر التي كان وضعها القدماء. وخصوصاً حنّا الشمّاس الذي ألف في القرن الثاني عشر كتاباً في وصف كنيسة اللاتران وملحقاتها. على انّ بعض الكتبة كانوا زعموا انّ قسماً من هذه الآثار كان فُقد سنة ١٥٢٧ لمّا دخل جيش شرل دوك دي بربون مدينة رومية فنهبوها. ومذ ذاك الحين لم يعد احد يعاين تلك المآثر الجليلة التي جُعلت تحت حراسة الرهبان الآمين يخدمونها خدمة نصوحة دون ان يعطى لهم مشاهدتها. وكان البابا بيوس التاسع عوّل على فتحها واراد نظر ما يحتويه ذلك المستودع لكنهُ بعد الساعات الطويلة اضطرّ الى تركها على حالها لصعوبة فتحها وفقدان مفاتيحها المصطنعة على منوال لم يعهدهُ الصَنَعة المحدثون

ولعلّ هذه الآثار كانت بقيت بعدُ دفينةً الى سنين طويلة لولا احد الاباء اليسوعيين من اساتذة كلية انانى التي انشأها الحبر الاعظم لاون الثالث عشر اسمهُ فلوريان جوبارو فانّ هذا الاب ردّاً على مزاعم بعض المتحذلقين الذين نسبوا زوراً خبر استشهاد القديسة اغنس الرومانية الى الخرافات وضع كتاباً لبيان الحقيقة فاحتاج لافحام خصومه الى معاينة ذخائر هذه الشهيدة لاسيّما جمجمتها للاستدلال على سنّها وعلى طريقة موتها. ولمّا كانت هامة القديسة من الذخائر المصونة في قدس الاقداس لم يرَ بدّاً من فتح هذا الحرز فطلب الى كبير الاحبار بان يسمح لهُ بفحص الذخيرة وسلّمهُ رقيماً لرئيس

الرهبان الموكلين بالقيام لزيارة رغبتهُ بفتح اصونة الذخائر . لكن هذا الامر بقي حرفاً ميتاً مدَّة سنة كاملة لكثرة ما وجدهُ الاب جرباردو من العقبات للولوج في ذلك المكان الحريز وكاد يرجع بخفي حنين لولا انهُ التجأ الى وسائل فعَّالة لم يجد المناص من اتخاذها وذلك انهُ اتى في احدى الليالي بحدَّاد حاذق فامرهُ بقطع العوارض التي كانت مشدودة بها الاقفال التي لم يمكن فتحها . فعالج الحدَّاد تلك العوارض زمناً طويلاً حتَّى تمكَّن بعد ساعات من قطعها وكذلك ازيلت بالمقراض والمبرد بقيَّة الحواجز والمصاريع والقفالات التي كانت جعلت هذا المكان احصن من القلاع فانفتح اخيراً وظهرت فيهِ تلك الكنوز الثمينة التي أُودعت هناك منذ نحو احد عشر قرناً او على الاقل منذ ايوشانيوس الثالث وبيقولا الثالث . فحدَّث عن فرح الذين عاينوا تلك الظُّرف لاوَّل مرَّة . وانتشر هذا الخبر في رومية وكان اوَّل من علم بهِ قداسة الحبر الاعظم فعيَّن لجنة من الكرادلة لفحص الذخائر قانونياً ثمَّ رخَّص لبعض العلماء بتصوير تلك الآثار القديمة منهم احد الاثريين الفرنسويين يدعى فيليب لاور الذي كتب في هذه الذخائر فصلاً في مجلَّة المكتابات والفنون الذي صدرت في حزيران الماضي . وهو يُعدّ تاليفاً موسعاً في وصف هذه التُّحف الثمينة وسوف يضيف اليها صور كل اثر على حدة . وكذلك نشر حضرة الاب غريزار اليسوعي والاثري الشهير مقالات ضافية في هذا الصدد في مجلَّة التمدن الكاثوليكي الايطاليَّة (حزيران وتموز) مع تصاوير متعدّدة

وها نحن نذكر هنا بعض ما وجد في قدس الاقداس من العاديَّات مستندين في تعريفها الى اقوال هؤلاء العلماء مع ما سطَّرهُ احد كتبة القرن الثاني عشر وهو يوحنَّا الشمَّاس الروماني الذي الَّف سنة ١١٦٩ للمسيح كتاباً في وصف كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيَّة وذكر قدس الاقداس وآثارهُ القديمة . وكان المذكور قانونيّ الكنيسة الموما اليها وكتابهُ في مجموع الاباء اللاتين لمين (Migne, PP. LL, CXCIV, 1513 - 1560)

وممَّا رواهُ يوحنَّا الشمَّاس انَّ في هذه المزار كانت آثار قديمة نُقلت من هيكل اورشليم بعد خرابهِ الى رومية ثمَّ انتقلت بعد عهد قسطنطين الى حراسة الاحبار الرومانيين ذكر بينها تابوت العهد المصطنع من الارز بامر الله لموسى النبي مع ما كان ضمنهُ من لوحي الشريعة والمنّ وعصاة هارون . وعليه فلا يكون التابوت المذكور مفقوداً كما يُظن بل هو

في هذا المقام الشريف. قال يوحنّا « وباسمهِ دعي هذا المكان باسم قدس الاقداس » هذه رواية يوحنّا الشمّاس والله اعلم بصحّتها. ولعلّهُ خُدع باسم المكان الذي دعاه البابا لاون الثالث قدس الاقداس لاتّخاذهِ صندوقًا ثمينًا كتابوت هيكل اورشليم. وكذلك المنارة ذات سبع الشعب التي اخذها طيطوس الملك الى رومية فانّ يوحنّا الشمّاس ذكر انّها وضعت في هذا المعبد. والظاهر انّ هذه المنارة فُقدت في بعض طوارق الدهر

ثمّ انتقل يوحنّا الى وصف الذخائر التي اودعها لاون الثالث في هذا القدس فوجدت كما ذكرها اوّلها ذخائر الرب لاسمهِ السجود منها صليبان جميلان احدهما من الذهب مزيّن بحلي الميناء العجيبة. ولعلّ هذا الشغل اقدم ما يُعرف من هذا الصنف قد نُقشت فيهِ اسرار حياة الربّ من بشارة الملاك الى العذراء الى معموديتهِ بيد القديس يوحنّا الصابغ. وتاريخ هذا الصليب قديم جدًّا وورد ذكره في تراجم الباباوات منذ القرن الخامس. وكان الاحبار الرومانيّون في القرن السابع والثامن بعد انتصار هرقل على كسرى يعرضونهُ على الشعب ليكرموهُ في ١٤ ايلول يوم عيد الصليب. وفي وسط هذا الصليب قطعة كبيرة من العود المقدّس الذي صُلب عليهِ الرب لا تزال عليهِ آثار العطر والطيب الذي كان يطيّبونهُ بهِ كل سنة يوم عيدهِ اشارةً الى حاملات الطيب والى المجدليّة التي طيّبت رجلي المخلص. وللصليب المذكور غلاف من الفضّة مربّع وغطاؤهُ منقور عليهِ تصاوير جميلة في وسطها يُرى السيّد المسيح جالسًا على عرش ذي موطإٍ عالٍ وهو رافع يدهُ اليمنى ليبارك كما يفعل اساقفة الروم بالاصابع الوسطى الثلاثة دون الباهم والخنصر اللذين يتماسّان. امّا يدهُ الشمال فموضوعة على كتاب الانجيل الذي فوق ركبتهِ وعلى جانبيهِ الرسولان الهامتان بطرس وبولس. وعلى هذا الغلاف تصاوير اخرى محفورة يطول شرحها كصورة ميلاد المخلص وصورة سجود المجوس وصورة العذراء جالسة على عرش من المجد والمظنون انّ هذا الغلاف من عمل القرن الرابع يشبهِ ما بقي لدينا من آثار ذلك العصر

امّا الصليب الثاني فكان من الذهب الابريز مرصع بالحجارة الكريمة والياقوت والزمرّد وهيئتهُ على شبه الصليب الذي يُنسب الى الامبراطور يستينوس في القرن السادس للمسيح وقد رسمنا صورتهُ في المشرق (٣ : ٣٤١) وكان هذا الصليب يُطاف

به كلّ سنة في رومية وكان في وسطه جلدة الختان الربّاني. ولهذا الصليب ايضاً غلاف جميل من الفضّة امر بصنعه البابا بسكال الاوّل (٨١٧–٨٢٤) عليه تصاوير مختلفة ونقوش. وهذان الصليبان قد وُجدا آخراً في خزانة قدس الاقداس كما وصفهما يرحنا الشمّاس. وكانا في صوان كبير من ارز بديع العمل ذي طبقتين اصطنعهُ البابا لاون الثالث معاصر شرلمان وقد وجد اسم هذا البابا مكتوباً على الصوان من خارجهِ. وهذه صورتهُ

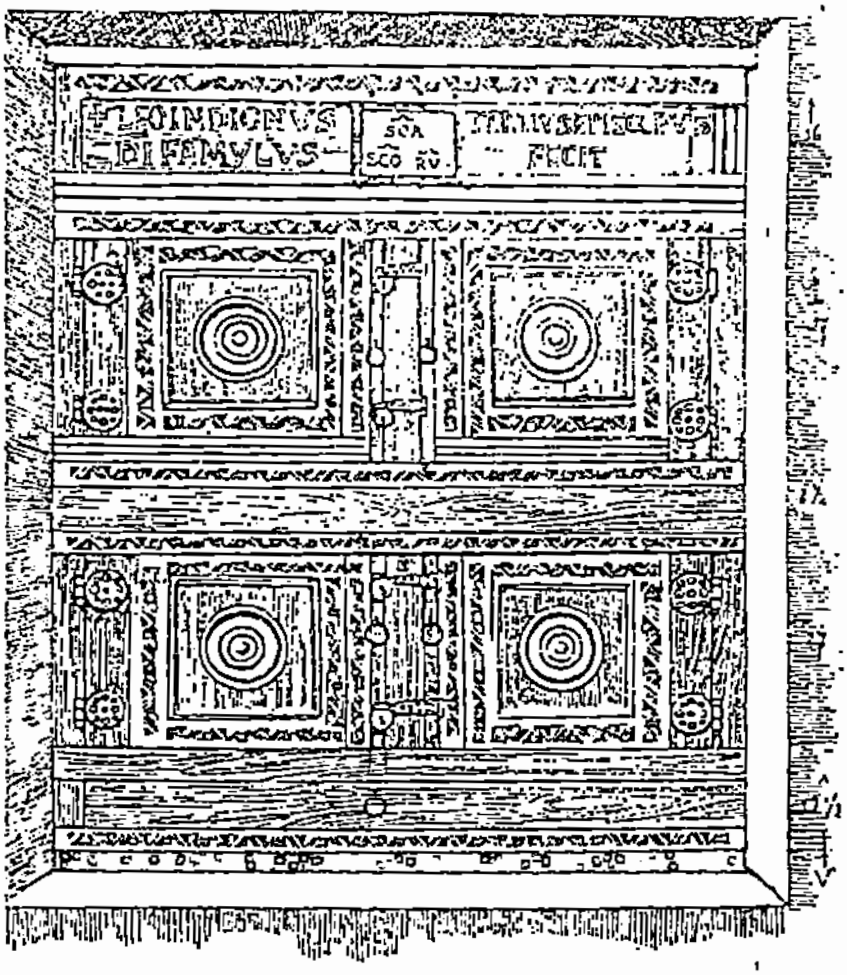

ومما ذكره يوحنا الشماس من الذخائر المصونة في قدس الاقداس « حذاء الرب » وها قد وُجد في الصوان كما روى هذا الكاتب وهما نعلان كالانعال الشرقية القديمة استولى عليهما العتق لطول عهدهما وهما غير كاملين وقد جُعلا في حُقّة من فضّة كُتب فوقها « حذاء ربنا السيد المسيح »

وكذلك وُجدت ذخائر اخرى ثمينة كقطعة من الحربة المقدّسة التي طُعن بها جنب الرب وقطعة من ثيابه ومن اكفانه ومن المنديل الذي جُعل على راسه الكريم بعد موته وانسجة شتّى قديمة منها قميص يُنسب للقدّيس يوحنا الحبيب. وكذلك في هذا الصوان كانت عدّة احجار من الامكنة المقدّسة كمذود الرب وصخرة الصليب وحجر الدفن والقبر المقدّس ذكرها ايضاً يوحنا الشماس في وصفه لطُرَف قدس الاقداس

وقد سبق انّ هناك وجدت جمجمة القديسة اغنس وكذلك وُجد رأس القديسة براكسيدة احدى شهيدات القرن الثاني والشهيدة اوفاميا والشهيدة بودنسيانا . وكذلك اكتشفوا عدّة اواني فيها بقايا دم الشهداء وبينها اناء من دم السيد المسيح الزكي الذي سال من جنبه على الصليب . وقفوا ايضاً خصلة من شعر القديس يوحنا الرسول وسنًّا من اسنان يوحنا المعمدان

وقد وقفوا ايضاً في الصوان عينه على عدّة آثار قديمة كتصاوير وكتابات وآنية وافشة قديمة يُستفاد منها فوائد جمة لتاريخ الصناعة الشرقيّة والغربيّة من القرن السادس الى القرن الثالث عشر ها نحن نذكر البعض منها

فمن ذلك اعمال بوزنطيّة غاية في الدقّة والحسن كغلاف هامة القديسة بودنسيانا فانّ نقوشهُ من شغل قدماء الروم يمثل القديسَين اليونانيين باسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي ناتئين مرتديين بملابس احبار الكنيسة اليونانيّة القديمة

ومن الآثار الشرقيّة التي ظهرت في خزانة قدس الاقداس حُقّة من الفضّة بيضويّة الشكل عليها غطاء مستدير من شغل صَنعة اهل افريقية القديم. وكذلك حقّة من العاج اصطنعها المغاربة وحقّة اخرى اسطوانيّة الشكل عليها كتابة كوفية. واطلعوا ايضاً على انسجة من عمل الفرس في ايام بني ساسان مع تخاريم عجيبة بالوان شتّى تمثل نباتات وحيوانات واحداثاً تاريخيّة أُلّفت في هذه الانسجة ذخائر القديسين. وكذلك وجدوا حُققاً من خشب الارز منقوشة بالذهب والالوان على الطريقة البوزنطيّة بعضها من القرن

العاشر او الحادي عشر ومنها ما نُقر قرًا بنقوش عجيبة . واستخرجوا ايضًا زجاجةً من البلّور الصخري ثمينةً جدًّا لها سدادة هرميَّة الشكل وعلى الزجاجة خرصان ذهبيَّة واطواق جميلة

وبين هذه الآثار عدَّة تحف من بقايا اعمال الرومان عليها تصاوير من تاريخ ملوك رومية الوثنيين واخبارهم ودينهم وغير ذلك

ومجمل القول انَّ وجود هذه العاديَّات في خزانة قدس الاقداس يُعد من اغرب اكتشافات عصرنا والعلماء يبنون على وصفها الاماني الطيِّبة لتعريف الاحداث التاريخيَّة والامور الصناعيَّة فضلًا عن مقامها في اعين المسيحيين كذخائر مقدَّسة تذكرهم باشرف الاسرار وتحيي في قلوبهم شواعر الدين وعواطف التقى

البَرْدي والآثار المخطوطة عليهِ

للاب لويس جلابرت اليسوعي

ذكرنا اخرًا في مقالتنا عن اكتشافات البنسا في الفيُّوم (ص ٦٦٨) انَّ معظم تلك الآثار كان مكتوبًا على البردي فرغب الينا بعض القرَّاء ان نوقف لهذا النبات مقالةً خصوصيَّة فنصفهُ لهم ونبين خواصَّهُ وطريقة استحضار القرطاس منهُ للكتابة مدَّة نحو ٤٠٠٠ سنة الى ان قام مقامهُ الورق المتخذ من القطن والخرق ثمَّ نلخص لهم اهمَّ الاكتشافات التي ظهرت لعالم الاحياء مكتوبةً على البرديّ بهمَّة الاثريين في هذه السنين الاخيرة . وهي آثار خطيرة اغنت العلوم بمضامينها العجيبة واماطت الستار عن معارف جليلة طالما بقيت دفينةً في قلب الارض ولعلَّ عصرنا هذا الجديد سوف يُدعى بسببها عصر البردي وآثارهِ القديمة

*

يفيدنا التاريخ كما تشهد عليهِ الآثار ان قدماء المصريين كانوا يكتبون على البرديّ ثلاثة الاف سنة قبل المسيح وبقي عندهم سرًّا مكتومًا مئين من السنين الى ان بلغ خبرهُ اليونان فاخذوا يستعملونهُ ايضًا ويسطرون عليهِ منتجات افكارهم . ومن المرجَّح